صفات الأصوات اللغوية: بينَ وقْفِ القدماء وإثبات المحدثين

أ. محمد العيمش

جامعة حسيبة بن بوعلي–الشلف (الجزائر)

ملخص المقال بالعربية:

يتضح من هذا المقال أن علماء الأصوات قديمهم وحديثهم تَوصَّلُوا إلى أنَّ المخرجَ لا يمكن أن يكون عُمدة بمفرده للتمييز بين الأصوات؛ لأنه وُجدَ أن مجموعة من الأصوات قد تشترك في مخرج واحد، وعندئذ راحوا ليتابعوا المراحل التي يسلكها الصوت في جهازه النطقي، ليصبح صوتا لغوياً، وقالوا بأن كل حرف يشارك غيره في المخرج فإنه لا فارق بينهما إلّا بالصفات ،سواء كانت أساسية كالجهر، والهمس، أو صفات ثانوية كالشدة ،والرخاوة، والتوسط. هذا بالإضافة إلى الصفات التمييزية أو الفارقة كالاستعلاء والاستقالة والإطباق، والانفتاح، والإذلاق و الإصمات.

كما تناولت في هذا المقال حروف القلقلة، وحروف التكرير، وحروف اللين، وحروف الانحراف، وحروف التفشي، وحروف الاستطالة، وَحَزَّ في نفسي أن أقف على الآيات القرآنية التي تحمل هذه المفاهيم الصوتية منذ قرون لأذكر به القارئ الكريم ، و في الأخير تبين لي أنه من خلال هذه العلائق الصوتية المتداخلة، يمكن أن ننشئ نظاماً صوتياً تواصليًا سليماً و دقيقاً.

الكلمات المفتاحية: صفات الأصوات اللغوية– علماء الأصوات القدامى والمحدثين– المخرج– جهاز النطق– النظام الصوتي.

Résumé:

D'après cet article, on constate que les phonologues (anciens et modernes) ont affirmé que la résonnance du son ne peut être primordiale comme objet de distinction entre les sons car on a trouvé que l'ensemble des sons peuvent avoir un issu commun.

Suite à cela, ces phonologues ont suivi toutes les étapes que suit le son dans l'appareil phonatoire pour qu'il se produise et devienne linguistique et ont démontré que chaque phonème s'associe avec un autre (son) du même issu (unité distinctive) et qu'il n'existe pas de différences entre eux qu'à travers ses qualités quel que soit l'intensité du son (forte ou basse)ou des qualités secondaires:Tension, souplesse et médiation.

Ainsi, les unités distinctives comme la prédominance, la résignation, l'obstruction, l'ouverture, la sonorité et la surdité.

Aussi, dans cet article, nous avons abordé le sujet des phonèmes relatifs au secouement, à la redondance, à la souplesse, à la déviation, à la transfusion et au prolongement.
A travers cet article, Nous avons essayé de montrer ces notions phonétiques en s'appuyant sur des versets coraniques depuis des siècles et ce pour attirer l'attention du lecteur.
En fin, Nous avons conclu qu'à travers ces interférences phonétiques, on peut en construire un système phonétique communicatif correct et régulier.
Les mots clés :
Les unités distinctives, les phonologues anciens et modernes, l'issu, le phonème linguistique, l'appareil phonatoire, le système phonétique.

إن الحديث عن تحديد مخارج الحروف عند مشاهير مؤسسي الدرس الصوتي العربي قديما وفي مقدّمتهم مؤسس هذا العلم الخليل بن أحمد الفراهيدي، عن صفات الحروف الأصوات لما لها من أهميّة في تحديد الصوت تحديدا موقعيا صحيحا. وبذلك أشار سيبويه إلى الصفات الأساسية "(المجهورة، والمهموسة) و(الشديدة والرخوة ، والمتوسطة) ولم ينس ذكر الصفات الفارقة "[1].

أ– الصفات الأساسية: «أدرك علماء الأصوات أنَّ المخرج لا يكفي أن يكون مقياسا وحده يُعْتَمدُ عليه في تمييز الأصوات، وذلك لاشتراك مجموعة من الأصوات في مخرج واحد، كالحلق والحنك وغيرهما وبناء على هذا تَتبَّعوا المراحل التي يسلكها الصوت في جهاز النطق حتى يصير صوتا لغوياً ، بغية الوصول إلى ضوابط أخرى يمكن أن تساهم جنباً إلى المخرج في تمييز الأصوات المشتركة في المخرج، فكل حرف شارك غيره في مخرج فإنه لا يمتاز عنه إلَّا بالصفات».[2]

جاء في مادة وصف ،في كتاب المفردات في غريب القرآن « وصف ذكر الشيء بحليته ونعته والصفة والحالة التي عليها الشيء من حليته، ونعته، كالزنة التي هي قدر الشيء والوصف قد يكون حقا أوبا طلا. قال تعالى: ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [3]. تنبيها على أن أكثر صفاته ليس حسب ما يعتقده كثير من الناس، ولم يُتصَوَّر عنه تمثيل وتشبيه، وأنه تعالى عما يقول الكفار ويقال :اتصف الشيء في عين الناظر إذا احتمل الوصف» [4] .

ويلاحظ هنا أن مخارج الأصوات ارتبطت بالجانب التجريدي أي: الذهني الصوري للأصوات فهي تعتمد على الملاحظة والحس اللغوي، والانطباع الذاتي خاصة ،مما أدى إلى اختلاف تحديداتها وصفات الحروف هذه منها المجهورة وضده المهموسة.

الهمس:(sourd) لغة: مادة همس، هو الخفاء والستر[5].

الهمس اصطلاحا: هو إخفاء الصوت بحيث يجري النَّفَسَ مع الحرف لضعف الاعتماد عليه قال سيبويه:«وأما المهموس فحرف أُضعِفَ الاعتماد في موضعه حتى جرى النَّفَسَ معه». وحروفه عشرة مجموعة في "حثه شخص فسكت" ، ويتبين من ذلك، أن كل ما في الجهر لا يكون فيه من صفات وحالات، وإن كان مصطلح الجهر يقابله الخفوت في كثير من الاستعمالات اللغوية كما سيأتي ذكره في موضع الجهر. أما الهمس قال تعالى: ﴿ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾[6]. فكان الهمس مقابلا للخشوع. والأصوات المهموسة يجمعها قولك: " سكت شخص فحثه"، وبطرح الأصوات العشرة المذكورة في هذه الكلمات الثلاثة من الأصوات التسعة والعشرين ، نحصل على تسعة عشر صوتا مجهورا.

الجهر (sonorité) لغة: مادة « "جهر" هو العلانية، وجهر بالقول إذ رفع به صوته، جهر أعلى الصوت وأجهر أعلن» [7] .

واصطلاحا:« هو ارتعاش الأوتار الصوتية* عند النطق بالصوت، فالمجهور حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفَّسَ أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه، ويجري الصوت»[8]. وحروفه تسعة عشر مجموعة في " عَظُمَ وزن قارئٍ غض" ، " ذي طلب جد "، ومنها الحروف الرخوة (fricative) وضدها الشديدة. أي: أن الجهر في مفهوم منطوقه الصوتي هو الظهور والإظهار والوضوح والتوضيح لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾[9]. وقوله أيضا: ﴿ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ﴾[10]. وَيُفهم من فحوى الآيات كلها أنها جاءت بغية التوضيح والظهور وهو ما ذكر سابقا. والبحث في ظاهرتي الجهر والهمس يتصل اتصالا وثيقا بمفهوم الذبذبة فهاهنا يتضح أن مفهومها فيزيائي يتصل بظاهرة الصوت، فالذبذبة الصوتية التي يمكن سماعها بالأذن ؛تقع في حدود 20 إلى 200 هرتز في الثانية والصوت المجهورعند المحدثين الذي يسمونه (voced) هو الذي يهتز أو يتذبذب الوتران الصوتيان حال النطق به[11] وليس معنى ذلك انعدام الذبذبات من النفس الذي معه، ولكن المراد بهمس الصوت هو صمت الوترين الصوتيين معه[12]. وإذا كان علماء العربية لم يعرفوا دور الوترين الصوتيين في تحديد صفتي الجهر والهمس، ولم يذكروه في بحوثهم وهي إشارة إلى سيبويه في نظر الدكتور إبراهيم أنيس، فإن سيبويه عرف أهم مظاهره في الصوت المجهور، كما مر معنا في تعريفه للجهر، وتلك هي الصفة التي يشير إليها الأوروبيون بقولهم sonority)[13].

ويرى"جان كانتينيو " أن ارتباط لفظ الجهر بالقوة ولفظ الهمس بالضعف لا يعني استحالة استعمال العرب لفظ مجهور في معنى ما نسميه "سودر" وأنه يمكن التفطن إلى المقابلة بين المجهورة والمهموسة، تفطنا دقيقا جدا من دون معرفة سببها الحقيقي[14].

ويواصل قائلا: مما لا شك فيه أن جهلهم بالسبب لا يستتبع مطلقا أنهم لم يستطيعوا إدراك الأثر[15]. وكان سيبويه أول من فرق بين المجهور والمهموس من علماء العربية، وأنه على علم وإدراك بهاتين الظاهرتين بدليل ما ذكره شارح كتابه ،أبو سعيد السيرافي فقد ذكر هذا الأخير أن أبا الحسن الأخفش (215هـ) قال: سألت سيبويه عن الفصل بين المهموس والمجهور فقال المهموس إذا أخفيته ثم كررته أمكنك ذلك، أما المجهور فلا يمكنك ذلك فيه، ثم كرر سيبويه "التاء " بلسانه وأخفى فقال: ألا ترى كيف يمكن، وكرر الطاء والدال وهما من مخرج التاء فلم يمكن وأحسبه ذكر ذلك عن الخليل . قال سيبويه: «وإنما فرق بين المجهور والمهموس أنك لا تصل إلى تبيين المجهور إلى أن تدخله الصوت الذي يخرج من الصدر. فالمجهورة كلها هكذا يخرج صوتهن من الصدر ويجري في الحلق وأما المهموسة فتخرج أصواتها من مخارجها وذلك مما يزجي الصوت، ولم يعتمد عليه فيها كاعتمادهم في المجهورة ، فأُخرج الصوت من الفم ضعيفا، والدليل على ذلك أنك إذا أخفيت همست بهذه الحروف، ولا تصل إلى ذلك في المجهور، ليبلغ ويفهم الصوت فالصوت الذي من الصدر هاهنا نظير الصوت الذي ترفعه بعدما يزجي صوت الصدر، ألا ترى أنك تقول: قام فإن شئت أخفيت، وإن شئت رفعت صوتك ، فإذا رفعت صوتك فقد أحدث صوتا آخر»[16].

وما يلفت النظر أن هذا النص يتضمن آراء قيمة في الدراسة الصوتية تتفق مع أحدث النظريات الحديثة إلى حد كبير، فسيبويه يرشدنا إلى وسيلة أخرى لتمييز المجهور من المهموس وذلك عن طريق إخفاء الصوت، وأنه يمكن هذا الإخفاء مع المهموسات دون أن تفقد معالمها. أما الإخفاء في المجهورات فيترتب عليه أن الحرف تضيع صفته المميزة، فلا تسمع الدال دالا حينئذ وإنما تسمع صوتا آخر هو التاء [17] .

فأساس التمييز بين الصوت المجهور والصوت المهموس عند سيبويه، فرق بين صوت الصدر في المجهور، حيث يربطه بقوة ضغط الهواء واعتراض طريقه، وبين صوت المخارج في الفم التي تتكون منه الأصوات المهموسة ويربطه بضعف ضغط الهواء والسماح له بالمرور[18]. في حين أن أساس التقسيم عند المحدثين فهو ذبذبة الأوتار الصوتية وعدمها داخل الحنجرة [19]. فالصوت المجهور، والذي يسمونه (VOICED)؛ هو الذي يهتز أو يتذبذب الوتران الصوتيان حال النطق

به. والصوت المهموس يطلقون عليه (VOICELESS)؛ و هو الذي لا يهتز أو يتذبذب الوتران الصوتيان حال النطق به [20].

أما صوت الهمزة ، فقد ذهب سيبويه وعلماء العربية إلى أنه مجهور[21]. واختلف المحدثون في صفته فبعضهم قال: إنها مهموسة وتأتي جهة الهمس في هذا الصوت من أن إقفال الوترين الصوتيين معه لا يسمح بوجود الجهر في النطق [22]. وعَدَّهُ آخرون صوتا ليس بالمجهور وليس بالمهموس لأن وضع الوترين حال النطق بهما لا يسمح بالقول بوجود ما يسمى بالجهر أو الهمس.

بينما الطاء والقاف فهما صوتان مجهوران عند علماء العربية القدامى[23]. وَعَدَّها المحدثون مهموسين[24]. وإذا كان المحدثون يجمعون في تعريفهم للصوت المجهور على أنه (الصوت الذي تصحب نطقه ذبذبه في الأوتار الصوتية–في مقابل المهموس– الذي لا تصحب نطقه ذبذبه) [25] . فهناك من يتحفظ على هذا التعريف، ومرد ذلك فإنَّ حدوث الصوت يكون نتيجة اهتزاز جسم ما، اهتزازا معلوما بين درجتين دنيا وقصوى ، وقول الذين فرقوا بين الصوت المجهور والمهموس بعامل اهتزاز الوترين، قالوا: الصوت المهموس هو الذي لا يهتز معه الوتران الصوتيان في حدوثه فهم يتساءلون قائلين: إذ لم يحدث اهتزاز في الوترين الصوتيين مع الصوت المهموس، فكيف يحدث؟ أي من يحدثه؟ ما دام الاهتزاز منعدما، مع أن الصوت نتيجة اهتزاز.

والأصوات المجهورة في العربية تسعة عشر صوتا عند القدماء والمحدثين العرب. إلا أن من الباحثين المحدثين من أستثنى بعض الصوامت من الجهر وألحقهما بالهمس وهذه الأصوات هي (الطاء والقاف) وجعلوا الهمزة في الحيَّاد (لا مجهورة ولا مهموسة) وهذه الأصوات الثلاثة مجهورة عند القدماء [26] .

ب – الصفات الثانوية.

الشدة: لغة: مادة (شَدَّ)، القوة والجلادة [27].وجاء هذا من حيث الدِّلالة متناصا مع قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [28]. واصطلاحا الشديد أو الانفجار الذي يمنع الصوت أن يجري فيه[29]. وحروفها ثمانية مجموعة في " أجدت قطبك "، والشدة كمنطوق صوتي يوحي بالغلظة والمتانة وله مكانة أكثر من غيره في مجال الدراسة. والشدة من الصفات الثانوية، ويسميها الألسنيون المحدثون بالأصوات الانفجارية، والأصوات الثانوية تخضع لعملية النطق، عكس الجهر والهمس اللذان يخضعان لوضع حدوثهما في

الجهاز الصوتي.[30] والحروف الشديدة ثمانية أصوات وهي:" أجدك قطبت: عند كل من سيبويه ،والمبرد وابن السراج وابن دريد، وابن جني.[31]

ومفهوم الشدة عند سيبويه غير ما جاء به غيره، فهو يقول في وصف الصوامت العربية «ومنها المنحرف وهو حرف شديد – وهو اللام– ومنها المكرر هو حرف شديد وهو الراء»[32]. وقد جعل كُلاً من اللام والراء والميم والنون أصوات شديدة وهي عند الجميع غير ذلك، والحقيقة أن سيبويه لم يكن مخطأ؛ وإنما مفهوم الشدة عنده غير الذي عند غيره، وهنا يُلاحظ أن شيئا متكررا في الجهر والشدة وهو التوقف والامتلاء والفارق بينهما أن الذي يتوقف في الجهر هو النَّفَس ، والذي يتوقف في الشدة هو الصوت، أما الامتلاء فالذي يمتلئ في الجهر هو ما دون الوترين الصوتيين في جميع الأصوات المجهورة. أما في الشدة فيكون الامتلاء في موضع الحرف، فالامتلاء مع الهمزة هو الحنجرة، ومع الطاء هو النطع ، ومع الياء هو الشفتان. والشدة يقابلها الرخاوة[33]

الرخاوةُ لغة : مادة(رخو)، الرَّخْوُ، الرِّخْوُ، والرُّخْوُ الهش من كل شيء، وأرخى الرباط وراخاه جعله رخواً وفيه رخوة ورخو أي استرخاء [34]. وأذكر ها هنا أن مصطلح الرخاوة ورد في قوله تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حيثُ أصابَ﴾[35]. والرخاوة ضدها الشدة. اصطلاحا: الرخو أو الاحتكاكي عند المحدثين، يكون الصوت رخوًا بتضييق مجرى الهواء في موضع من المواضع ، ويكون ذلك على شكل تسرب مستمر للهواء . قال ابن جني: « هو خمسه والمتوسطة بين الشدة والرخاوة ».

التوسط لغة: من مادة (وسط)، وسط الشيء ما بين طرفه ووسط الشيء وَ أَ وْ ُسطُه أعدله والتوسط هو الاعتدال[36] ولذ لك قيل خير الأمور أوسطها .و شَهِدَ القرآن بذلك، قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [37]. اصطلاحا: «هو عدم انحباس الصوت عند النطق بالحرف (مثل أحرف الشدة)

ولا يجري عند النطق بالحرف (مثل أحرف الرخاوة) » [38] . وحروفه خمسة مجموعة في" لن عمر "

ج– الصفات التميزية أو الفارقة: الصفات الفارقة سميت بهذه التسمية للاستعانة بها عندما يتعذر الفصل بين صوتين يشتركان في مخرج واحد ، وصفة أساسية واحدة ، أو ثانوية ، فتتدخل الصفة التمييزية ليتم الفصل، مثل: الواو والميم: حرفان شفويان ينتميان إلى حيز واحد، وهما مجهوران ،ومتوسطان، هنا تتدخل الصفة الفارقة لتفرق التقارب الحاصل بين الحرفين، وهي: الميم حرف ذلقي ، والواو حرف لين[39].

الاستعلاء لغة: (EMPHASE) مادة (علا) علا الشيء عُلَوٌّ فهو عليٌّ والعلي الرفيع، العلاء هو الرِّفعةُ [40] . والاستعلاء ضده الاستفال. ونلحظ أن القرآن الكريم استعمل هذا المصطلح في وصف فرعون ،قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾[41] ؛أى أنه تَرَفَّعَ وتَكَبَّرَ على قومه . واصطلاحا: هو ارتفاع اللسان بعضه أو كله إلى ما يحاذي الحنك الأعلى عند النطق بالصوت قال ابن جني في تعريفها «وللحروف انقسام آخر إلى الاستعلاء والانخفاض فالمستعلية سبعة مجموعة في "خص ضغط قظ" وماعدا هذه الحروف فمنخفض، ومعنى الاستعلاء أن تتصعد الحنك الأعلى»[42].

الاستفال لغة: «مادة (سفل)، السَّفلُ والسِّفلُ نقيض العُلْوُ والعِلْوُ » [43]. والاستفال اصطلاحا: «هو انحطاط اللسان إلى قاع الفم، أثناء النطق بالصوت ويقتضي الترقيق»[44] وحروفه اثنان وعشرون حرفا مجموعة في " ثَبُتَ عِزُّ من يحودُ حرفه سل إذ شكا" ولقد حمل القرآن هذا المعني ،قال تعالى: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ *﴾ [45]. ومن الأصوات السبعة المستعلية أربعة أصوات تتميز بخاصية زائدة وهي :

الإطباق لغة (vélarisation): مادة (طبق)، الطبق غطاء كل شيء، والجمع أطباق، انطبق وَتطبق غطاءه وجعله طبقاً وطبِقَ إذا وقع في الأمر الشديد [46]. ولقد وقف القرآن الكريم على هذه المادة المعجمية ،على لسان أهل المدينة ، حين قال : ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا* عَنْ طَبَقٍ﴾[47].

واصطلاحا يوصف الصوت بالإطباق إذا ارتفع مؤخر اللسان إلى الحنك الأعلى وفي الوقت ذاته ترتفع نهايته في اتجاه الحنك الصلب، وفي هذه الحالة يتقعر وسط اللسان، ويتجمع فيه قدرٌ كبيرٌ من الهواء، مما يجعل الصوت مفخما في أذن السامع ويسمى الصوت مفخما والكيفية التي يحدث فيها إطباقا[48]. قال سيبويه متحدثا عن الأصوات المطبقة والمنفتحة: «ومنها المطبقة والمنفتحة، فأما المطبقة : فالصاد ، والضاد، والطاء ،والظاء[49]. وتسمى هذه الأصوات الأربعة مستعلية منطبقة، مستعلية بمراعاة مؤخر اللسان ومطبقة بمراعاة نهايته، والمنفتحة كل ما سوى ذلك من الحروف؛ لأنك لا تطبق لشيء منهن لسانك ترفعه إلى الحنك الأعلى»[50].

الانفتاح لغة : مادة (فتح) والفتح نقيض [51]. واصطلاحا يوصف الصوت بالانفتاح إذا تقعر وسط اللسان، وانبسط في حال نطقه بالأصوات الأخرى غير الأربعة المطبقة، فالمنفتح لا تطبق ظهر لسانك برفعه إلى الحنك فلا ينحصر الصوت[52] . وحروفه خمس وعشرون حرفا.

الإذلاق وضده الإصمات .

الإذلاق لغة : مادة (ذَلَقَ) ، الذلق حِدَّةُ الشيء ، ولسان ذليق طليق ، والإذلاق سرعة الرمي[53] . واصطلاحا : الذلاقة هي النطق بطرف أَسَلَةِ اللسان والشفتين قال الخليل« اعلم أن الحروف الذلقية والشفوية ستة وهي (ر ل ن ، ف ب م) وإنما سميت هذه الحروف ذلقا لأن الذلاقة في المنطق إنما هي بطرف أسلة اللسان والشفتين وهما مدرجتا ، هذه الأحرف الستة، منها ثلاثة ذلقية(ر ل ن) تخرج من ذلق اللسان من طرف الفم وثلاثة شفوية (ف ب م) » [54].

الإصمات لغة: مادة (صمت) يصمت صَمتاً وصُمتاً، وصَمُوتاً، وصُماتاً أصمت: أطال السكوت[55]. وجاء في الحديث «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو لِيَصمُت». واصطلاحا: يعرفه سيبويه بقوله: « الإصمات المِصْمَتُ من الأصوات ، ما لا جوف له ويكون ثقيلا وسميت الأصوات المصمتة لثقلها على اللسان » [56]. وحروفه ثلاثة وعشرون حرفا مجموعة في " جِزْ غِشَّ سَاقطٍ صَدَّ ثِقةً إِذْ وَعْظُهُ يحضك "

الصفات غير المتضادة: حروف الصفير

الصفير لغة (sifflant) : مادة (صفر) ، من الصوت بالدواب إذا سقيت صَفَرَ يَصْفِرُ صفيرا صَفَّرَ بالحمار ، وصَفَّرَ : دعاه إلى الماء [57] . واصطلاحا: عرفها سيبويه بقوله: هي حروف تَنْسَلُّ كالصفير، وهي الصاد والسين والزاي لأنها تخرج من بين الثنايا وأسلة اللسان ، فينحصر الصوت هناك ومن فقد أسنانه، وبخاصة الثنايا والرباعيات لا يمكنه إصدار صوت صفيري، وفي الأصوات الصفيرية إشكالات ، فهي كثيرة التحول والاستبدال في اللهجات العربية واللغات الأجنبية من ذلك السين مثلا فهو في اللغة الإسبانية يقلب ثاء ويقال(بلاثيون بدل بلاسيوس) ، بينما توظف اللهجة المصرية السين موضع الثاء فيقولون (سلاسة بدل ثلاثة)، ويعد السين والصاد من الأصوات الفرعية عند سيبويه.

قال سيبويه، في الأصوات الفرعية المستحسنة «ومنها (الصاد التي كالزاي) [58] . في مثل قزدير وقصدير. بينما (الصاد التي كالسين مستفتحة) » [59] . وجعل الخليل السين من (حروف الطلاقة)[60]. وهي مستحسنة. ومن الأصوات الفرعية المستحسنة النون الخفيفة وصفتها الغنة وهي ما يأتي حديثها.

الغنة (nasalité): تشكيلة صوتية يوحي نطقها بالرنين الدال بدوره على الفرح والحزن، فمن الفرح الغناء ومن الحزن الأنين، وفي مجال الدراسة الصوتية هو الصوت الذي يتردد في التجويف

الأنفي بخاصة، وأصوات الرنين ثلاثة هي: (الميم ، النون الساكنة، التنوين). ولهذه الأصوات في مجال الدراسة الصوتية والقراءات القرآنية مجال واسع، وللميم الساكنة وحدها أحكام عديدة.

المهتوتة: صفة أطلقها علماء العربية على أصوات ثلاثة، يقول الخليل: المهتوت هو صوت الهمزة سميت بذلك بخروجها من الصدر كالتَّهوُّع، فتحتاج إلى ظهور صوت قوي شديد، والهت: الصوت بشده.

أما سيبويه، فإنه أطلقها صفة على صوت الهاء، ذلك لما فيه من الضعف والخفاء، وابن الحاجب يجعلها صفة لصوت الياء ،والأكثر تحقيقا هذه الصفة جديرة بالهمزة لدتها أكثر من صوتي الهاء والياء. وهناك تنتشر صفات أخرى في كتب اللغويين كالصوت الهادي الذي جعله القدماء صفة لصوت الألف، كواحد من أصوات المد لاتساع هواء الصوت، والأصوات المدية الأخرى كالواو والياء هي أيضا أصوات هاوية لما تمتلكه من خاصية الجهر، وخروج الهوا ء بحرية وطلاقة عند إنتاجها[61].

1**–حروف القلقلة**:(**sonorisation**) «يعرفها ابن منظور لغة على أنها من: مادة (قلق) القلق هو أنَّ لا يستقر في مكان واحد، والذي هو الاضطراب، كأنه يضطرب في سلوكه ولا يثبت» [62]. واصطلاحا القلقلة هي: اضطراب الصوت بسبب ضغط اللسان به عند خروجه ساكنا ويحتاج إلى جهد أكبر، في حال الوقف، قال سيبويه « واعلم أن الحروف حروف مشربة ضغطت من مواضعها فإذا وقفت خرج معها من الفم صُوَّيتاً ، ونبا اللسان عن موضعه وهي حروف القلقلة . [63] وجمعها في " قطب جد "

ويرى بعض الباحثين أن الصوت المقلقل هو المتحرك الذي لا يقبل السكون ومن هنا تطرح فكرة جديدة، وهي مفهوم السكون، ويضيفون أن الأصوات الساكنة فيها كثير من الغموض ومن أمثلة ذلك نحاول أن ننطق هذه الكلمة ساكنة (الحق)، وسيجد الناطق صعوبة بل استحالة في نطقها ساكنة وقد يظهر له أنها ساكنة ولكنها ليست كذلك ودللا على ذلك بمقارنة كلمة (الحق) بكلمة (اسمع)، وسيجد الناطق حينها بإمكانه أن يتوقف على العين ساكنة من(اسْمَع) ويسمعها هو ومن معه، ولكنه لا يستطيع أن يسمع صوت القاف إلا إذا أُلْحِقَ به صويتا » [64].

حروف التكرير.

التكرير لغة: «أورده سيبويه على أنه من مادة (كرر)، الكَرُّ هو الرجوع كرر الشيء، وكَرْكَرَهُ أعاده مرة بعد أخرى وتكرر : هو تردِّي في الهواء» [65]. ومن مشتقات الفعل المعروفة : كَرَّرَ،يُكرِرُ، تَكْرَارًا ...،بفتح التاء على وزن تَفْعَالْ ؛لأنه مما وقف عليه علماؤنا أنهم قالوا لاتوجد في اللغة العربية كلمات على وزن (تِفْعَالْ) إلَّا كلمتين ، وهما (تِلْقَاءَ) وكلمة (تِبْيَانَ) والتي ورد ذكرهما في القرآن الكريم، قال تعالى : ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾[66]، و قال أيضا : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[67] أما بقية الكلمات كلها وردت على وزن (تَفْعَالْ).

أما اصطلاحا: صفة للراء سُمِّيَت كذلك لارتعاد طرف اللسان بها، قررها سيبويه وهو يتحدث عن صفات الحروف فقال «ومنها المكرر، وهو حرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام وتجافى للصوت كالرخوة، ولو لم يكرر لم يجرِ الصوت فيه وهو الراء» [68].

فصوت الراء عنيد يضغط على اللسان حتى يرتعد ويرتجف، في اتصالٍ وانفصالٍ مع الحنك الأعلى وفي حالة الارتعاد، يتسرب صوت منقطع متكرر هو صوت الراء ، فالراء إذن صوت لام متقطع وصوت اللام هو راء مراوغ محتال ، ولتوضيح العلاقة بينهما نذكر بأن الطفل الصغير يصعب عليه نطق الراء ويسهل عليه اللام؛ لأن في اللام مجرد انحراف، وفي الراء تكرار، ونسمع الطفل الصغير يقول (الدال) باللام وهو يريد (الدار) بالراء والسبب في ذلك بسيط وهو أنه مازال لم يتعود تحريك لسانه [69].

حروف اللين (MOUILLIE).

اللين لغة: حددها ابن منظور في قوله:« مادة (لين) ضد الخشونة » [70]. فاللين منطوق صوتي يوحي بالحسن والسهولة في المعاملة والاستعمال قال تعالى: ﴿ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾[71].

هذا ولقد ورد مصطلح الخشونة في القرآن بصيغة الفظ قال تعالى: ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [72].

واصطلاحا: اللين صفة للواو والياء والألف، قال سيبويه «وهذه الثلاثة أخفى الحروف لاتساع مخرجها، وأخفاهن، وأوسعهن مخرجا: الألف ثم الياء ثم الواو » [73]. وفي الحديث عن اللين تداخل واختلاف منذ ظهور الدراسة اللغوية ، والتداخل ناجم عن عدد أصوات اللين ، فمنهم

من جعلها اثنين خلافا لسيبويه بإضافة الألف إلى الواو والياء ،ومنهم من نحى منحى سيبويه وجعلها ثلاثة ،(الألف، الواو، الياء) .

إن علة التداخل هذه ناجمة عن عدم توجهات القدماء وتعاملهم مع المفاهيم والمصطلحات في رأي الباحثين لأن هذه الأصوات الثلاثة (الألف، والواو، والياء) تشترك في مصطلح العلة (**voyelle gildes**) والمد.(**voyelle continue**).وذلك في حالات خاصة، وبعض الباحثين لم يراعوا هذه الأصوات بثلاث مصطلحات، يقول في موضع، وحروف العلة الثلاثة (وهي حروف مد ولين) [74]. ويقول في الألف (أو حرف لين كالألف) [75]. كما يسمي الحرف الميت بقوله: (وكانت ميتة لا تدخلها حركة) [76]. وعلة تسمية الألف بصوت اللين، إنما هي تسمية تميزية وليست اصطلاحية .

ويعني ذلك أن القدماء وجدوا تداخلا بين صوتين متشابهين هما همزة القطع وهمزة الوصل فسموا همزة القطع الألف اليابسة ، لشدة النطق بها، وسموا في مقابلها همزة الألف اللية لسهولة النطق بها. ومنها تداخلت المفاهيم بالمصطلحات ،وسيبويه يميز بين كل منها في حديث الصفات فيقول: « ومنها اللينة وهي الواو والياء »[77]. بينما يسمي الألف الوت الهاوي بقوله «ومنها الهاوي، وهو حرف اتسع لهواء الصوت، مخرجه أشد من اتساع مخرج الياء والواو»[78]. ومن هنا يبدو الفرق واضحا بين اللين وغير اللين.

حروف الانحراف.

الانحراف لغة: «مادة (حرف)، انحراف، تحريفا أي تحريف الكلم عن مواضعه» [79].وجاء ذكر الحرف في القرآن الكريم: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ ﴾[80]. أي إذا أصابه خير استقر وثبت، وإذا أصابه مكروه فلت وانحرف.

واصطلاحا: صفة لـلام سميت كذلك؛ لأن اللسان ينحرف فيه مع الصوت، ويتجافي من ناحيتي مستدّق اللسان عن اعتراضه على الصوت، فيخرج من تَيْنَكِ الناحيتين، قال سيبويه وهو يتحدث عن صفات الأصوات. « ومنها المنحرف، وهو حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة وهو اللام» [81].

ومما نراه مهما هنا، هو أن الصفات التميزية معظمها تُفهم وظيفتها من نطقها وتميل مصطلحاتها إلى الوصف الفزيولوجي، وقد لاحظنا في كل ما مَرَّ من الصفات التميزية، غلبة دلالة الموقعية عليها. منها مصطلح الانحراف، والصوت المنحرف (consonne latérale) هو اللام.

وسمي اللام منحرفا؛ لأن النطق به يجعل طرف اللسان –طرف هو نهايته– مستعليا في اتجاه الحنك الأعلى سادا المجرى الصوتي مما يصبغ عليه صفة الشدة وهو ما ذكرناه من ذي قبل أثناء الحديث على صفة الشدة، ولكن الصوت مع اللام ينزل اللسان مستعليا سادا مجرى الصوت العادي وينحرف جهة اليمين أو اليسار من اللسان ويتابع طرفه مخادعا اللسان. ومن هذه الوضعية للسان يسمى صوت اللام منحرفا لانحراف مساره [82].

حروف التفشي (chuintante).

التفشي لغة: «مادة (فشا)، فشا الشيء يفشوا فُشُواً وفُشِياً

ومنه إفشاء السر، وتفشى الشيء أي اتسع»[83]. أي ذاع وانتشر، إذن التفشي منطوق صوتي يوحي بالإظهار والانتشار وهو كذلك في الدراسة الصوتية، وهذا هو المعنى الذي جاء على لسان النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: « ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتُم؟، أفشوا السّلام بينكم ».رواه مسلم. أي: وسعوا دائرة السلاَّم بينكم . [84]

أما اصطلاحا : صفة ذكرها سيبويه في وصف الشين ، سميت كذلك « لأن الصوت ينتشر عند خروجه ويشغل اللسان مساحة أكبر عند نطقه حتى يصل إلى مخرج الطاء »[85]. والشين مخرجه مع الجيم ويمتنع إدغام الشين في الجيم حفاظا على فضيلة التفشي، ومن هنا صار التفشي صفة حميدة في الأداء.

حروف الاستطالة (pro traction) .

الاستطالة لغة: «مادة (طول)، طال يطول طولا، وطال فلانٌ فلاناً ، فاقه في الطول، وطال الشيء أي امتد واستطال عليه أي تطاول، واستطال الشق في الحائط امتد وارتفع»[86]. وجاء هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [87].

واصطلاحا: صفة أطلقها سيبويه على الضاد ، وكذلك وصف بها الشيء ، فقال « الضاد استطالت لرخاوتها، حتى اتصلت بمخرج اللام، والشين كذلك حتى اتصلت بمخرج الطاء » [88]. ووصفها سيبويه أيضا بقوله: «ومن لين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد »[89].

يبدو مما سبق أن النظام الصوتي هو شبكة العلاقات القائمة بين الصفات والمخارج، فهو الاتحاد والاختلاف، فكلما اتحد الصوتان في المخرج اختلفا في صفة أو أكثر وبالعكس. وما يمكن أن أَخْلُصَ إليه ، هو أن قدماء علماء الأصوات قد وضعوا لبنة أساسية في هذا المجال رغم ما

سُجِّلَ عليهم، وتلك منقصه بينة بحكم زمانهم وظروف بحثهم، فالفضل كما يُقالُ لِلْمُعلِّمِ مهما بلغ الْمُتعلِّمُ.

إن تلك الجهود الرائدة للقدامى، عَضَّدت جهود العلماء المحدثين فَتَبَنَّوْها، وبذلك استطاعوا التدقيق في بعض جزئيات النظام الصوتي ،كوصف جهاز النطق ومخارج الأصوات والتعرف على موقع الوترين الصوتيين اللذين لم يتوصل إليهما سيبويه وغيره ،كما استطاع المحدثون التعرف بدقة على بعض الأصوات المهموسة كالطاء والقاف، والتي عَدَّهَا القدامى مجهورة والأمثلة كثيرة مما يُعدُّ؛ وهذا اعتمادا على وسائل علمية وإمكانيات تكنولوجية أعطت نتائج متناهية في الدقة والوصف.

هوامش البحث:

[1] – صحبي صالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، د ط، 1973م، ص 58.

[2] – المرجع نفسه، ص58.

[3] – الصافات، 180.

[4] – الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن ، دار الكتاب العربي ، د ط ، د ت، ص525.

[5] – ابن منظور ،لسان العرب ،دار صادر ،بيروت ،طبعة 1 ،2000 م ، 91/1.

[6] – طه ، 108.

[7] – ابن منظور، لسان العرب، 225/1، وينظر: د /غانم قدوري الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بغداد، دط، 1986م، ص125.

* الوتران الصوتيان أو « الحبال الصوتية »هما أشبه بشفتين منهما بوترين، ولكن جرى الاصطلاح على هذه التسمية، وهذان الوتران ممتدان بالحنجرة أفقيا من الأمام إلى الخلف وهما من أعضاء النطق المتحركة. ولهما القدرة على اتخاذ أوضاع متعددة تؤثر في الأصوات الكلامية، ينظر، د/ محمود السعران، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، القاهرة، مصر، د ط، 1962م، ص145.

[8] – سيبويه، الكتاب ،تحقيق عبد السلام محمد هارون ،مصر ،القاهرة ،د ط ،1975 م 434/4.

[9] – الإسراء، 110.

[10] – الحجرات، 2.

[11] – إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ،الأنجلو مصرية ،ط4 ،1981 م،ص20.

كمال بشر ،علم اللغة العام ،الأصوات العربية ، القاهرة ، د ط ،2000 م.ص 87، 88.

[12] – د/ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية. ص 20.

[13] – المرجع نفسه ، ص 123 ،124.

[14] – ينظر جان كانتنيو، دروس في علم أصوات العربية، ترجمة ألقرميدي، نشريات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية الاجتماعية، تونس، دط، 1966م، ص 34.

[15] – ينظر هنري فليش، العربية الفصحى، ترجمة د/ عبد الصبور شاهين، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، دط، 1966م، ص 58.

[16] – د/ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ، ص 121 ، 122، وهنري، فليش، العربية الفصحى، ص 199، 200.

[17] – د/ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 121.

[18] – المرجع السابق، ص 121 ، 122.

[19] – المرجع نفسه، ص 20.

[20] – د /كمال بشر، علم اللغة العام (الأصوات)، ص 87، 88.

[21] – سيبويه، الكتاب ، ص434 ، ومكي بن أبي طالب القيسي، الرعاية لتجويد القراءة وتحسين لفظ التلاوة، دار المعارف دمشق، دط، 1972م.ص77، ود / إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 91، د/ محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، القاهرة، دط، 1962م، ص71.

[22] تمام حسان ،مناهج البحث في اللغة ،دار الثقافة ،الدار البيضاء ، المغرب ،د ط ،1979 م،ص 97، ود / عبد الرحمن أيوب، أصوات اللغة، مطبعة الكيلاني، ط2، 1986م، ص183.

[23] سيبويه، الكتاب 434/4 .

[24] – د/ إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص 62 –85 ، ود / محمودة السعران، علم اللغة، ص 168–170.

[25] – تمام حسان مناهج البحث في اللغة، ص 88، ود/ محمود السعران، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، ص 167.

[26] – مكي درار، وسعاد بسناسي ، المقررات الصوتية في البرامج الوزارية للجامعة الجزائرية ، دراسة تحليلية تطبيقية ،دار الأديب دط ، 2007م ص 96،97.

[27] – ابن منظور لسان العرب ، 39/8.

[28] – الفتح، 29.

[29] – سيبويه ، الكتاب ، 434/4.

[30] – د/ شاكر عبد القادر، معالم الصوتيات العربية، وهران، د ط،2010م.ص82.

[31] – المرجع، نفسه ص83.

[32] – سيبويه ، الكتاب ، 4 /435.

[33] – ينظر د/ مكي درار، د/ سعاد نسناسي، المقررات الصوتية، ص 99، 100.

[34] – ابن منظور، لسان العرب، 130/6.

[35] – ص، 36 .

[36] – ا بن منظور، لسان العرب، 15/ 210

[37] – البقرة، 143.

[38] – ابن منظور، لسان العرب 10 / 199، 200.

[39] – د/ شاكر عبد القادر، معالم الصوتيات العربية، ص86.

[40] – ابن منظور، لسان العرب 10/ 267، 268.

[41] – ص،من 516.

[42] – ابن جني ، سر صناعة الإعراب ،تحقيق د/ حسن هنداوي ،دار العلم ،دمشق ، ط2 93 19 م .سوريا،70/1.

[43] – ا بن منظور، لسان العرب، 201/7.

[44] – ابن جني ، سر صناعة الإعراب ، 70/1.

[45] – التين، الآية 5.

[46] – ابن منظور، لسان العرب، 9/ 88، 89

[47] – الانشقاق، 19.

* جمع أسفل أسافل وقيل معناه إلى الهرم وقيل إلى التلف وقيل أرذل العمر ، والسَفَالَةُ بالفتح الندامة ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، 201/7 .

*تعني لفظة طبقا الناس عامة والتفسير الشِّدَّة وقال الزجاج: لتركبن حالا بعد حال حتى تصيروا إلى الله من إحياءٍ وإماتةٍ وبعثٍ . ينظر لسان
العرب، 9 /89.

[48] – د/ مكي درار، وسعاد بسناسي ، المقررات الصوتية، ص 105.

[49] – سيبويه ، الكتاب ، 436/4 .

[50] – د /صلاح الدين صالح حسنين ، محاضرات في علم الأصوات ، الثقافة العربية ، القاهرة ، دط ، دت، ص70.

[51] – ابن منظور، لسان العرب، 119/9.

[52] – سيبويه ، الكتاب ، 436/4 .

[53] – ينظر ابن منظور، لسان العرب، 40،39/6.

[54] – الانشقاق، 19.

[55] – الخليل بن أحمد الفراهيدي ،كتاب العين ،تحقيق مهدي المخزومي ،و إبراهيم السامرائي ،دار الهجرة ، إيران ط1 ، 1986 م ، 51/1 .

[56] – ينظر ابن منظور، لسان العرب، 4 /89.

[57] – سيبويه ، الكتاب ، 426/4 .

[58] –المرجع السابق، 251/8، ولإدراك مادة (صفر) أكثر، ينظر، ص 251، 252 من هذا الجزء.

[59] – سيبويه ، الكتاب ، 32/4.

[60] – المرجع نفسه ، 4 /432،و الخليل ابن أحمد الفراهيدي ،كتاب العين ، 60/1.

[61] – د/عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان– الأردن– ط1، 1998م.ص280.

[62] – المرجع نفسه، ص 280،281.

[63] – سيبويه، الكتاب،174/4، و ينظر د/ محمد منصف القماطي ، الأصوات اللغوية ووظائفها، دار الوليد طرابلس، د ط، 2003م،ص60 .

[64] – ينظر ،د/ مكي درار وسعاد بسناسي، ص 105 ، 106.

[65] – ابن منظور، لسان العرب، 13 /46، 47.

[66] –القصص، من 22.

[67] –النحل، من 89.

[68] – سيبويه، الكتاب، 4 /435.

[69] – ينظر، د/ درار، د / سعاد بسناسي، المقررات الصوتية، ص 113 .

[70] – ابن منظور، 13/ 268.

[71] – الزمر، 23 .

[72] – سيبويه، الكتاب ، 435/4 .

[73] – المرجع نفسه، 176/4.

[74] – آل عمران، 159.

[75] – سيبويه الكتاب، 525/3.

[76] – المرجع نفسه، 356/4.

[77] – المرجع نفسه، 435/4.

[78] – المرجع نفسه، 435/4 ،436 .

[79] – ابن منظور ، 89/4 .

[80] – الحج ، 11.

[81] – سيبويه، الكتاب، 435/4.

[82] – د/ مكي درار، وسعاد بسناسي، المقررات الصوتية، ص 112، سيبويه، الكتاب ، 435/4 .

[83] ينظر،ابن منظور،لسان العرب،مادة (ف ش ي)

[84] – زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ،تحقيق مصطفى محمد عمارة ، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ، دارا لكتب العلمية بيروت، لبنان ط 01 ،(1406هـ – 1986م)، 424/3.

[85] –ابن الجزر ي،أبو الحسن محمد بن محمد الدمشقي الحافظ،النشر في القراءات العشر،تصحيح ومراجعة محمد علي الصباغ،د ط، دت، ،204/1.

[86] – ابن منظور، 163/9، 164.

[87] – الحديد، 16.

[88] – سيبويه، الكتاب، 4 /457، 466 -470 .

[89] – المرجع نفسه ، 434/4.